مجلة الإنذار

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

هجروه تعلماً وتعليماً :

منذ ابتداء الوحي ونزول الآيات الأولى من سورة العلق { **اقرأ باسم ربك الذي خلق**... } أقبل الرسول محمد ﷺ وصحبه الكرام ، رجالاً ونساءً ، شيبة وشباناً وأطفالاً ، على قراءة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه للآخرين ، وكانوا يترقبون نزول آياته وسوره الكريمة ترقب الأرض العطشى لنزول قطرات المطر ، ما إن تلامسها حتى اهتزت وربت ، وكذلك كانت آيات القرآن الكريم تفعل فعلها في الناس ؛ تحيي القلوب ، وتنير العقول ، وتزكي النفوس...

وكان الرسول محمد ﷺ حريصاً على حفظ القرآن وتعلمه ، وانظر إلى الخطاب الرباني الجميل الرائع يبين حرص الرسول ﷺ على ذلك بقوله تعالى : { **لا تحرك به لسانك لتعجل به ❋ إن علينا جمعه وقرآنه ❋ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** } [القيامة:١٦-١٨]. وانظر إلى حال الرسول ﷺ والمعاناة النفسية الشديدة التي عاشها فترة تأخر الوحي وانقطاعه عنه ، توضح ذلك الآيات الكريمة في سورة الضحى { **والضحى ❋ والليل إذا سجى ❋ ما ودعك ربك وما قلى** }. وكذلك كان حال الصحابة رضوان الله عليهم ، أقبلوا على تعلم القرآن وحفظه وتعليمه لأهلهم وأطفالهم كانوا يتدارسونه مع النبي ﷺ وفيما بينهم ، حتى ظهر خلال سنوات قليلة عشرات الحفاظ منهم الذين حفظوه في صدورهم واتسمت به أخلاقهم وظهرت آثاره على معاملاتهم ، ويكفي أن نذكر أنه قد استشهد منهم ما لا يقل عن السبعين في حروب الردة مما دعا الخليفة أبا بكر الصديق والخلفاء الراشدين من بعده إلى جمع القرآن ونسخه خوفاً عليه من الضياع بعد استشهاد الكثير من حفظته .

وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم كانوا ينهلون من معين القرآن ويتدارسونه مع رسول الله ﷺ ، ثم يعلمونه لنساء المؤمنين المهاجرين والأنصار ، اللاتي كن حريصات على تعلمه وتعليمه لأطفالهن حرصهن على الإسلام نفسه .وحتى الأطفال واليافعين أقبلوا عليه حفظاً ودراية ومن أبرزهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن) وأسامة بن زيد ﷺ .

لقد تعهد الله عز وجل بحفظ القرآن حتى يوم البعث قال تعالى : { **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** } ومن وسائل وآلات هذا الحفظ أن قدر الله في كل زمان ومكان من يحفظ هذا القرآن ويعيه

ويعلمه لمن حوله . يقول الله عز وجل في سورة القيامة : { **إن علينا جمعه وقرآنه ❋ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** } . يقول الأستاذ محمد عبد الله دراز رحمه الله في كتابه النبأ العظيم : « والقرآن هنا { **فاتبع قرآنه** } هو المصدر على وزن فُعلان كالغُفران ، تقول قرأته قرءاً وقراءةً وقرآناً بمعنى واحد ، أي تلوته تلاوة » ويتابع رحمه الله : « روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن ، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه ، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً ، { أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى } » ويتابع رحمه الله : « وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءاً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول { **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** } [الحجر:٩] ، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس قال تعالى : { **والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله** } [المائدة:٤٥] ، أي طلب إليهم حفظه . والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان ساداً مسدها ، ولم يكن شيء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمراً يسر أسبابه ، وهو الحكيم العليم » .

والإسلام العظيم والعلم - أقصد العلم الشرعي والعلوم الدنيوية النافعة للمجتمع والإنسانية - صنوان لا يفترقان ، إذا ذُكر أحدهما ذكر بالآخر ، ولقد حض الإسلام على الإقبال على العلم والنهل من ينابيعه والارتواء من معينه ، وجعل طلب العلم والتماسه موصلاً إلى طريق الجنة . عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » [رواه مسلم] .

وإن تعلم القرآن الكريم وتعليمه من أجل العلوم وأفضلها وأكثرها عند الله أجراً وثواباً ، عن عثمان بن عفان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » [رواه البخاري] .

مجلة الإنذار

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

وجعل مُدارسة القرآن الكريم وتعلمه ومجالسه من أعظم مجالس البر والذكر وخصها بأفضل الأجر وعظيم الثواب قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ : « **وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه** » [رواه مسلم] . فانظر إلى هذا الأجر العظيم الذي جمعه الله لأهل مجالس الذكر ومدارسة القرآن : تتنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ، ويذكرهم الله . وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ : « يقول الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » .

وسئل الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أي العمل أفضل ؟ قال ذكر الله ، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ويتدارسونه إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك حتى يخوضوا في حديث غيره . وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال : « كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنة ويذكرون الله تعالى »

وقال عمر الفاروق ﷺ : « أيها الناس تعلموا كتاب الله تُعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله » . ولقد عمل السلف الصالح رضوان الله عليهم بأقوال رسولهم العظيم وأئمتهم وأقبلوا على الاهتمام بالقرآن الكريم قراءة وحفظاً وتلاوة وتجويداً وترتيلاً ، وأقبلوا عليه علماً وتعليماً وعملاً وتدبراً ، فظهر منهم على مر الدهور أعظم الأئمة وأجل العلماء ؛ ظهر منهم الحفاظ كابن حجر العسقلاني والإمام الذهبي ، وابن كثير والحافظ العراقي... وظهر منهم المفسرون كالطبري وابن كثير وابن الجوزي والرازي... وظهر منهم من اهتم بعلم أسباب النزول ، وآيات الأحكام ودلائل الإعجاز وغير ذلك من علوم القرآن جزاهم الله عن المسلمين كل خير ، ولا زال وحتى عصرنا الحاضر من سار على طريقهم ، واهتدى بهديهم رغبة في ثواب الله وطمعاً في جنته وشفاعته يوم العرض عليه . عن النواس بن سمعان ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما** » [رواه مسلم] . ويقول

مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

الإمام العظيم ابن رجب الحنبلي في كتاب « جامع العلوم والحكم » في تفسير الحديث الشريف « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » : « وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء ، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ومدارسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم له ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم » .

ولقد ظهر على مر العصور وفي سالف الدهور الكثير الكثير من العلماء الأتقياء الأجلاء الذين وهبوا أنفسهم وحياتهم وأوقاتهم لخدمة هذا القرآن العظيم ولعل من أجمل الصور التي ما أزال أحتفظ بها في ذاكرتي ذلك الوصف الرائع الذي ذكره الشيخ علي الطنطاوي - حفظه الله وجزاه عن المسلمين كل خير - للعالم والشيخ الذي تتلمذ عليه والذي يذكرني بعدد غير قليل من علماء الشام ومصر الذين كان لهم في هذا القرن الفضل الكبير في تعليم القرآن للعديد من الأجيال - يقول الشيخ علي الطنطاوي في كتابه " في سبيل الإصلاح " تحت عنوان " إن هذا العلم دين " : « فلما توفي والدي لزمت عالماً أزهرياً متفنناً ، فكنت أنصرف من المدرسة فأراجع دروسها على عجل ثم أتعشى - وكان العشاء في تلك الأيام بعد العصر - وأصلي المغرب وأمضي إليه في مسجده ، فأقعد مع الطلبة ننتظره حتى يفرغ من صلاته ، فإذا قضى الشيخ صلاته أقبل علينا فسلم فرددنا عليه السلام ، لا نقوم له لأنه أدبنا بآداب الإسلام ، وليس منه هذا القيام ، ولكن تثبت لمقدمه قلوبنا ، وتخشع لمحضره جوارحنا ، وتنبض بحبه وإجلاله كل ذرة فينا ، فيقعد ونحن حوله ، فيسمي الله ويحمده ويشرع في درس النحو ، فيقرأ المعيد ويشرح هو ، ويقيم أحدنا إلى لوح أسود كالذي يكون في المدرسة ، فيملي عليه الشاهد ليوضح عليه القاعدة الجديدة ويذكرنا بالقواعد القديمة ، وكان أحب شيء إليه أن نستعيده ونستوضحه ونناقشه ، فيعيد ويوضح ويجيب ، باسم الثغر ، طلق المحيا ، مشرق الشيبة ، محبوباً مهيباً ، فيملك بخلقه قلوبنا ، وبعلمه عقولنا ، ثم يختم الدرس بحمد الله كما بدأه بحمد الله ، ويؤذن المؤذن فنقوم إلى الصلاة فنرى السكينة قد حفت المجلس والرحمة قد نزلت به ونحس بالملائكة قد حضرته ، ويؤمنا الشيخ فيقرأ قراءة إخال من روعتها كأن القرآن قد هبط به الوحي آنفاً ، فإذا قضيت الصلاة قعدنا نذكر الله بقلوب حاضرة وألسنة رطبة وجوارح خاشعة ، ثم ينظر الشيخ فيقول : إن فلاناً لم يحضر وقد بلغني أنه مريض ، فعودوه وساعدوه ، فنسرع

مجلة البلاغ

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

إليه نعوده ونؤنسه ونأتيه بالطبيب والدواء ، وإن فلاناً في ضيق فأعينوه ، فنسد خلته ونفرج ضيقته ، وربما استبقى الواحد منا فانفرد به ووعظه أو أنبه على زيّ - لا يليق بطالب العلم - اتخذه ، أو محل - لا يحسن به - حله ، أو صاحبٍ - لا يدله على الله - صاحبه ، فيبلغ تأنيبه ما لا يبلغه السيف ، وندع ما كرهه ولا نعود إليه ، ثم ننصرف جميعاً إلى بيوتنا .

أما الدنيا فلم يكن يسأل عنها أقبلت أو أدبرت ، ولم يكن يفكر فيها ضاقت أو اتسعت ، فإن حضره الطعام حلالاً أكل ، وإن دعاه محب أو فقير أجاب ، وإن أهدي إليه قبل ، فإن كانت الدعوة أو الهدية من فاسق أو متكبر أبى » .

نعم ؛ إننا بحاجة إلى أمثال هؤلاء العلماء ، فبهداهم اقتده ، وأخشى ما نخشاه علماء تعلموا القرآن وعلموه ولكن لم يعلموه إخلاصاً لله وابتغاء مرضاته ، ولكنه النفاق والرياء ، جاء في الحديث الشريف : « ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به الله فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ وقد قيل ، وأمر به وسحب على وجهه فألقي في النار » .

وهناك من تعلم القرآن وعرف ما فيه ولكنه لم يعمل به ولم يتخلق بأخلاقه وقد جاء في الحديث الشريف - الذي أخرجه الشيخان والنسائي عن أبي موسى الأشعري - وصفاً لثلاثة من العلماء ذكرهم الرسول ﷺ الذي أعطي جوامع الكلم يحدثنا عنهم : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وأسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً لم يقبل هدي الله الذي أرسلت به » .

نقل الحافظ في الفتح عن القرطبي وغيره أن النبي ﷺ ضرب لما جاء من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي إلى الناس في حال حاجتهم إليه وكذا كان حال الناس قبل مبعثه فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ،

مجلة البيان

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو المشار إليه بقوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء » .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع » . وقال الإمام الحسن البصري : « العلم علمان ؛ علم في اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم كما جاء في الحديث " **القرآن حجة لك أو عليك** " وعلم في القلب فذاك العلم النافع » .

إن ما نراه اليوم من قلة الاهتمام على المستوى الرسمي والشعبي بتعليم القرآن مدعاة للحزن ومجلبة للأسف الشديد لقد أصبحنا نعيش في زمان قد ألغيت فيه وفي كثير من الدول الإسلامية المدارس الشرعية ، ومدارس تحفيظ القرآن ، وحُددت ساعات لحصص التربية الدينية الإسلامية ، وألغيت فيه الكتاتيب التي كانت تهتم بتعليم وتحفيظ الأطفال القرآن الكريم في السنوات الأولى من حياتهم . وسقى الله زماناً كان المعلم يقول فيه للتلميذ : عليك أن تحفظ النص أو المقطوعة أو النشيد كما تحفظ الفاتحة ، فأصبحنا الآن نعيش في زمان قل فيه من يحفظ الفاتحة !!.

وأصبحنا نعيش في زمان صارت فيه المساجد كالمؤسسات الحكومية تفتح بأوقات وتغلق بُعيد أداء الصلوات ففقدت دورها الرئيسي والعظيم كدُور للعبادة والتعليم والإشراف على شؤون الحياة .

وسقى الله زماناً كان الأهل فيه حريصين أشد الحرص على تعليم الأطفال القرآن وكانوا يرسلونهم في أوقات الصيف للمدارس الخاصة أو الكتاتيب ، وكانوا يقيمون لهم الاحتفالات عندما يحفظون القرآن أو بعض أجزائه .

وسقى الله زماناً كان العلماء يتسابقون فيه على تعليم الأطفال والناشئين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ابتغاء مرضاة الله وطمعاً في جنته ، فأصبحنا نعيش الآن في زمان قد انتزع العلم منه بانتزاع أهله - إلا من رحم ربي - فساد الجهّال وأفتى المضلون فضلوا وأضلوا .

وقديماً - وليس بالقديم البعيد - كان الناس عندما يقرؤون هذا الكلام في فيض الخاطر لأحمد أمين : « كانوا في الكتاتيب فما يشعر الطفل إلا والعصا الطويلة نزلت عليه وصحبها من الشيخ " اهتز

عنوان المقال : { إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً } -٣-	بقلم : د. موفق الحكيم

يا ولد " فقد كان عليهم أن يهتزوا عند قراءة القرآن ، وقد كان لهذه العصي ؛ ما طال منها وما قصر ، أثر في النفوس » ؛ كانوا عندما يقرؤون هذا الكلام يضحكون فيما بين أنفسهم ، ونحن في هذا الزمان - واللهِ - أحق بأن نبكي على أنفسنا وحالنا !!!.